الوثيقة
دورية تاريخية محكمة
يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين
العدد العشرون - السنة العاشرة
رجب ١٤١٢ هـ - يناير ١٩٩٢م

ببليوجرافيا

رُوّاد الإصلاح في محمد عبده

بدأنا في عدد سابق نشر هذه الدراسة عن رواد الاصلاح في العصر الحديث وقدمنا في الحلقة الأولى منها الرائد الفذ جمال الدين الأفغاني ونقدم في هذه الحلقة - وهي الثانية من هذه الدراسة - رائدا آخر عبقريا هو الامام محمد عبده.

للدكتور
فهمي توفيق
مقبل

يلف الغموض تاريخ ولادة الامام الشيخ محمد عبده ومكانها ، لكن العديد من المصادر الموثوقة ، يتفق على انه من مواليد سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م ، في قرية صغيرة من قرى مصر تسمى محلة نصر من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة .

نشأ الشيخ محمد عبده وترعرع في بيت عرف أهله بسمو النفس ، وكرم الخلق ، واشتهر رجاله بالصبر على الأذى وقوة التحمل والتضحية في سبيل الحق ، حتى ضرب المثل بشجاعتهم وبسالتهم في مواجهة الطغاة والظالمين ، وكثيرا ما دفعوا ثمنا باهظا لقاء مواقفهم الوطنية والشجاعة . وقد ادرك محمد عبده في عقده الثاني عهد الظلم وفساد الحكم ، ورأى بنفسه الاجحاف المادي والمعنوي الشديد الذي لحق بأسرته ، وكيف يزج بأهله ومن يلوذ بهم في السجون حتى الموت ولا يخرجون منها إلا الى القبور .

العصر الحديث

محمد عبده

١٨٤٩ ١٩٠٥

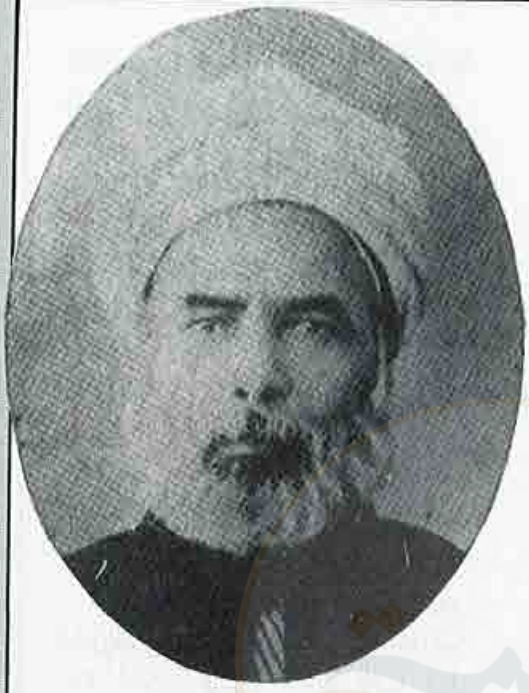

هذه الطفولة الحزينة المقموعة ، التي مر بها محمد عبده صغيرا ، احتلت مساحة واسعة من تفكيره ، ورؤيته للمستقبل ، وانعكست على مجمل شئون حياته الشخصية والفكرية ، لكن من الثابت انه قد صاحبها دائما شعور بالاعتزاز بالمجد والاصالة ، وعدم الربط بين هذه الاصالة وبين الجاه المادي المتعلق خصوصا بالثروة وكثرة المال .

نهل الامام محمد عبده علومه الأولى في كتاتيب قريته ، وهو في سن السابعة من عمره ، حيث أتم فيها مرحلة حفظ القرآن وتجويده ، ثم انتقل الى الجامع الاحمدي بمدينة طنطا ، بادئا بذلك اول خطوة في مسيرته نحو الأزهر الشريف ، ليلتحق به في العام ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م ، وفي أزهر القاهرة بدا الشيخ وكأنه يقف أمام أبواب مرحلة حاسمة من تاريخه ، تمثلت باتصاله بالداعية الاسلامي الثائر جمال الدين الأفغاني ، الذي كان قد وصل الى القاهرة للمرة الثانية عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، مقررا البقاء فيها ، وما كاد يلتقي الأفغاني ، حتى انبهر به أيما انبهار ، ثم أخذ يلازمه كظله ، حاثا طلاب العلم على حضور مجالسه وسماعه ، وتلقى العلم عنه ، آخذا هو بدوره عن استاذه ، العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية .

ويكتشف الأفغاني في تلميذه الشيخ عبده ، حلمه الكبير ، في بناء

التنظيم المنشود والأرضية الصلبة للتحرك نحو الأهداف المرجوة ، فيصب من نفسه في نفس تلميذه المتقدة من الشجاعة والحماسة ما يضمن لها سرمدية الاتقاد ولتترك أثرا بعيد الغور في سجل اعماله الخالدة . وقد ظهرت بواكير هذا الاثر جلية ، في كتابات عبده لجريدة الأهرام القاهرية ، ثم ابان تسلمه لرئاسة تحرير الوقائع المصرية سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م ، ووصلت ذروتها بمشاركته في الثورة العرابية ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م .

تخرج الامام محمد عبده في الأزهر الشريف وحصل على شهادة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ/١٨٧٧م، بادئا اولى خطوات مسيرة حياته العلمية مدرسا في دار العلوم والأزهر ومدرسة الالسن في القاهرة ، وعلى هدى من خطى استاذه بدأ يشن حملة انتقادات بناءة لاذعة ، كان حظه منها مثل حظ الأفغاني نفسه ، إذ جر عليه منهجه الاصلاحي هذا ، غدر السلطات وغضبها ، حيث لم يرق لها هذا التشخيص ، واسلوب العلاج الحاسم للمشكلات التي يعاني منها المجتمع ! وانتهى الأمر بتسفيره الى قريته ، وفرض الاقامة الجبرية عليه فيها ..

ومما زاد الطين بلة ، والمحنة سوءا تزامن هذه الرزايا مع صدور قرار نفي استاذه الأفغاني سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م من مصر حيث بدأ الأفغاني ـ بعد ان عاد الى نقطة الصفر ـ رحلة شتات جديدة في الهند واوربا .. أما الشيخ محمد عبده فسرعان ما تدخل مريدوه وعارفو فضله لدى رياض باشا ، ناظر النظار ، الذي استصدر بدوره عفوا عنه من الخديوي توفيق (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) واستدعاه من قريته ليعينه محررا في الوقائع المصرية ، حيث انتهى به الأمر في العام نفسه ليصبح رئيس تحريرها .. لكن النفوس الأبية ترفض المهادنة والمساومة وتأبى لنفسها موقفا لا ينسجم مع مبادئها وقيم دينها وأمتها .

لذا والحالة هذه كان لا بد من أن يقف عبده نفسه ـ كما هي عادته ـ الى جانب الشعب ، مشاركا في الثورة العرابية وصانعا لأحداثها ومخططا لها .. لكن الثورة التي نيطت بها آمال الأمة ، سحقت تحت سنابك الانجليز واعوانهم من الخونة والمارقين .. والقى القبض على الشيخ محمد عبده مع من قبض عليهم من قادة الثورة ورجالاتها ... وحكم عليه وعلى عدد من قادة الثورة بالنفي خارج الوطن ، فاتخذ عبده من بيروت محطته الجديدة لتضميد الجراح والتقاط الأنفاس وللانطلاق من جديد مستأنفا مسيرة كفاحه ، وفيا للمبادىء الشريفة

التي عقد النية للدفاع عنها مهما كلفه ذلك من تضحيات .. وما ان استقر به المقام في بيروت - التي وجد من اهلها حسن الاستقبال وطيب الاقامة - حتى لبى نداء الواجب الذي دعاه اليه استاذه الأفغاني ، حيث كتب اليه يستدعيه للحاق به الى باريس ، وذلك في اواخر سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٢م ، ليؤسسا معا في المنفى جريدة «العروة الوثقى» ، التي كانت اول صوت اسلامي مطبوع في فجر النهضة الاسلامية الحديثة ، وتعد اللبنة الأولى في اساس هذه النهضة .. وقد صدر من هذه الصحيفة ١٨ عددا ، كان اولها بتاريخ الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/١٣ آذار (مارس) ١٨٨٤م ، وآخرها بتاريخ الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ/١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٨٤م . وقد استطاعت العروة في هذا الزمن القصير من عمرها ان تصبح لسان حال الآلاف من احرار المسلمين ، ومفكريهم ، وعلمائهم .. ولكن القوى المعادية للصوت والحق الاسلامي العادل - وعلى رأسها الحكومة البريطانية آنذاك - أمرت بمصادرة اعدادها ، ومنعت دخولها الى سائر مستعمراتها ..! بعد أن لاحظت هذه القوى ان «العروة» استطاعت ان توصل الصوت الاسلامي ، وتسمعه مدويا للعالم أجمع ، موقظة الغارقين في سبات الجهل والاستسلام للعبودية ، مستنهضة الهمم لمكافحة الاستعمار وفضح دسائسه والتشهير بجرائمه والتنديد باحتلاله ، مؤججة روح الثورة في نفوس العرب والمسلمين ، رامية الى بث الوعي في العقول ، والى بناء الانسان القادر على مواجهة التحديات وصعاب الأمور .

بعد توقف العروة عن الصدور ، غادر الشيخ عبده باريس ومنها الى بيروت سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، ليكون هذا التاريخ آخر عهده باستاذه الأفغاني ، لتقتصر علاقتهما - نتيجة الظروف القاهرة - على المراسلات التي شكلت الحد الأدنى للتواصل الفكري والانساني بينهما . وبعودة عبده للمرة الثانية الى بيروت ، عمل على وضع توجه وأسس جديدة لتحركه في اتجاه الاصلاح المأمول مستفيدا من خبراته السابقة خير فائدة .. وفي هدي هذا التحرك الجديد ، شغل وقته - خلال الأربع السنوات التي قضاها في منفاه الاختياري (بيروت) - بالعمل الثقافي والتربوي والفكري والسياسي ، وتحقيق كتب التراث ، وتأسيس الجمعيات الخيرية .. كما أسس جمعية سرية هدفها التقريب بين الأديان ، وفي هذه الفترة استقر رأيه على مفهوم جديد للاصلاح ، يوصل لتحقيق التغيير المنشود ، يتم

بواسطة التربية والتعليم ، وهو المفهوم الذي بقى ثابتا عليه حتى وفاته .

وفي ضوء هذا الهدف سعى للعودة الى مصر ، وبتوسيط أهل الحل والرأي ، تمكن في سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م ، من الحصول على عفو من الخديوي توفيق يسمح له بالرجوع الى وطنه .. وبعد ان مر بمرحلة اختبار قاسية ، متعهدا بالابتعاد عن السياسة واهلها شرع بتطبيق منطلقاته الفكرية ، مصلحا بواسطة التربية والتعليم ، فاشتغل باصلاح المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية الثلاث : الازهر والأوقاف والمحاكم الشرعية .. ولم يكن هذا وحده كافيا ليشبع نهمه بالاصلاح المنشود ، فشارك بقوة وفعالية في الحياة العامة ، حيث شهدت الفترة ما بين عودته الى مصر ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م وحتى وفاته ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ، حركة لا تنقطع ، ونشاطا لا يهدأ ، وهمة لا تفتر في المشاركة والتأسيس لجمعيات ومؤسسات تربوية ، وتعليمية ، واجتماعية متعددة الأغراض والأهداف الانسانية ، من أهمها مشاركته في تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي تهدف لنشر التعليم واغاثة المنكوبين ، والتي تولى رئاستها في سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م ، كذلك تأسيسه لجمعية احياء العلوم العربية ، بهدف تحقيق ونشر آثار التراث العربي الاسلامي ، فضلا عن اهتمامه برجال العلم والفكر والاصلاح ، من امثال عبدالرحمن الكواكبي ، ومحمد رشيد رضا حيث أوجد لهما ارضا صلبة مع توفير اسباب الاستقرار النفسي (في مصر) وغني عن القول ما قدمه امثال هؤلاء الاعلام من عطاء في خدمة القضايا الاسلامية المصيرية ، التي نذروا حياتهم من اجلها .

ومن أسمى المناصب التي تقلدها عبده في حياته ، منصب مفتي الديار المصرية سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ، وبعد ان ظل ما يقرب من تسع سنوات يشغل منصب القاضي ، والمستشار في محاكم مصر ، حيث اثبت على الدوام بأنه قاضي العدل والانصاف . وقد اتاح له منصب الافتاء القيام بجولات للاطلاع على احوال العالم الاسلامي في اصقاع المعمورة ، فشملت جولاته الكثيرة ، بلاد الشام واوربا وافريقيا العربية (تونس ، الجزائر ، وزار السودان في أواخر حياته) ..

لقد كان الامام عبده من تلك النخبة من المفكرين العرب الاسلاميين ، التي استيقظت على احوال الأمة المزرية ،فهبت تنافح لجلاء الصدأ الذي اعترى فكرها ، وللقضاء على الأوهام التي سيطرت على اذهانها ،

وكسر القيود التي كبلت ارادتها ، فطفق ينادي بتحرير الأمة من نير الظلم والطغيان ، الذي جعل منها لقمة سائغة بين فكي الاستعمار الغربي الحديث .. وأخذ بالتي هي أحسن المجافين للتجديد والاصلاح الحق المتفق مع روح الاسلام الصحيح ، ناعيا على بعض العلماء والفقهاء جمودهم ، وضيق أفقهم ، منددا بمرارة بطرق التعليم والتدريس العقيمة في كل من الأزهر ، والأموي ، والزيتونة ، والقرويين وكان خصومه (سامحهم الله وغفر لهم) يتمسكون بتطرف بتلك الأساليب الدراسية العقيمة ، وبالأفكار التي توارثوها من عصور مظلمة ، مؤثرين النقل على العقل مدابرين لكل جديد .. ويذكر الاستاذ قدري قلعجي رأي الشيخ محمد عبده نفسه في طرق تدريس هؤلاء الاساتذة حيث يقول : «كنت اسمع الشيخ وهو يدرس ، فأحسبه يتكلم بلغة أجنبية» ! ثم يضيف : «ان أكثرهم اتخذوا دينهم متجرا يكسبون به الحطام ، فاختلط عليهم الأمر بين الاسلام الصحيح وبين ما نسبوه الى الاسلام من عادات جاهلية ، وبدع وثنية ، وأوهام نسجتها عصور الظلام وعهود الاستبداد ، كما يدافع المرء عن مورد رزقه ، متهمين كل من يخرج على هذه القيود التي تكبل الفكر والروح ، وكل من دعا الى العلم والعقل بالكفر والفساد » . لا يهمهم أن يقول لهم قائل «انكم تتهمون أفضل رجالكم وأعقلهم بالمروق ، مع انهم لا يريدون بكم إلا الخير والرقى والسعادة . فلماذا ؟ ألأن دينكم لا يجتمع مع العقل والعلم والفضل(*) .

هذه هي شخصية محمد عبده ، شخصية جبلت على شرف النفس وصدق اللسان ونقاء السريرة ، وعلو الهمة . وكان مع علمه الثر جم الأدب ، رفيع الخلق ، سمح الخلقة ، طلق المحيا ، كريم المعشر ، شريف الغايات نبيل المقاصد وبوفاته ـ رحمه الله ـ طويت صفحة ناصعة من انصع صفحات تاريخنا الحديث ، وفقدنا رجلا عظيما عاش لأمته وقضاياها أكثر بكثير مما عاش لنفسه وأهله ، وشعوب امتنا ـ بكل ما تملك من احترام ووفاء لرجالها الذين امتحنوا

(*) انظر قدري قلعجي ، ثلاثة من اعلام الحرية ، جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، سعد زغلول ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د. ت) ص ٢٧٧ وما بعدها .

في سبيلها ، وبذلوا ارواحهم رخيصة لرقيها ، ومن أجل ان تبقى زمام المبادرة في يدها ، «كخير أمة اخرجت للناس» ـ لن تسقط من ذاكرتها أبدا أمثال هؤلاء الرجال ، الذين رسموا لها الخطة الأثيرة ، وساقوها الى طريق المستقبل الأدوم حضورا والأبقى تفوقا . وسيبقى محمد عبده ـ بما تركه من اعمال باقية جليلة ، وذكر

عطر ، وافكار ملهمة اوصلته الى مقام الامامة بكل معناها ـ ماثلا ابدا في

وجدان أمته ، وستبقى ذكراه جذوة من نور حية سرمدية لا تنطفىء .

أعمـالـه

أ ـ الكُتب

ـ **رسالة الواردات** ، (القاهرة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م) ، انظر محمد عمارة الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ، ٦ مجلدات ، (بيروت ، ١٣٩٢هـ ـ ١٣٩٤هـ/١٩٧٢ ـ ١٩٧٤م) ، راجع هنا الجزء الأول ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

ـ **حاشية على شرح الديواني للعقائد العضدية** ، (القاهرة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٦ م طبعة ثانية ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) ، انظر عمارة المرجع السابق ص ٢٠٩ ـ ٢١٩ .

ـ **العقيدة المحمدية** : (القاهرة ١٢٩٤ هـ ـ ١٨٧٧ م . **طبعة ثانية ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م)** .

ـ **مع السيد جمال الدين الأفغاني ، العروة الوثقى** ، (صدر منها ١٨ عددا ، اولها بتاريخ الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/١٣ آذار (مارس) ١٨٨٤م ، وآخرها بتاريخ الخميس ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ/١٦ تشرين اول (اكتوبر) ١٨٨٤م ، أعيد طبعها مرارا ، في القاهرة ، وبيروت من ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وحتى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ، كما أعيد طبعها في كتاب محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ٣ أجزاء ، (القاهرة ١٣٥٠هـ/١٩٣١م) تجدها هنا في الجزء الثاني ص ٢١٥ ـ ٣٤١ ، كذلك تجدها باختصار في الجزء الأول ص ٢٨٣ ـ ٢٨٩ ، أعاد نشرها ايضا محمد عمارة في كتابه جمال الدين الأفغاني ـ الأعمال الكاملة ـ الجزء الثاني (بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م) ، وكان الأستاذ عمارة قد نشرها في كتابه الأعمال الكاملة للامام محمد عبده ، الجزء الأول ، ص ٢٢٩ ـ ٢٤٠ .

- **شرح كتاب نهج البلاغة للامام علي بن ابي طالب ، (رضي الله عنه) (بيروت ١٢٧٥هـ/١٨٨٥م) أعيد طبعه أكثر من مرة ، انظر محمد عمارة ، عبده ، ج ٣ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٩ .**

- **رسالة الرد على الدهريين** ، للسيد جمال الدين الأفغاني ، ترجمها من الفارسية الى اللغة العربية ، مع مقدمة للترجمة ، (بيروت ١٢٧٦هـ/ ١٨٨٦م و١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) .

- **شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني** ، (بيروت ١٢٧٩هـ/ ١٨٨٩م) ، انظر عمارة ، عبده ، ج ٢ ، ص ٤١٤ ـ ٤١٦ .

- **رسالة التوحيد** ، (طبعت مرارا في القاهرة وبيروت من العام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م وحتى العام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) وصححها وأعاد طبعها محمد رشيد رضا ، ط ١١ ، دار المنار بمصر (القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) ، وأعاد طبعها محمد عمارة في كتابه عبده ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ـ ٤٧٥ . نقلت الى اللغتين الانجليزية والفرنسية (راجع اعماله المترجمة) .

- **شرح كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق لعمر بن سهلان الساوي** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) .

- **شرح كتاب المخصص ، لابن سيده** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م) .

- **شرح كتاب اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني** ، (القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م و١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) .

- **تقرير مفتي الديار المصرية في اصلاح المحاكم الشرعية : (القاهرة ١٣١٨ هـ ـ ١٩٠٠ م)**

- **الاسلام والرد على منتقديه** ، (القاهرة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) ، موضوعات الكتاب نشرت اولا على حلقات في جريدة المؤيد القاهرية ، آيار (مايو) ١٩٠٠م/١٣١٨هـ كرد على مقالات كتبها المفكر الفرنسي ووزير الخارجية الفرنسي انذاك : (١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م) A. Gabriel Hanotaux ونشرها في صحيفة Journal de Paris تحت عنوان «وجها لوجه مع الاسلام ومسألة المسلم» وفي وقت مبكر من نفس العام (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) ، أعاد نشر هذه المناظرات وردودها محمد رشيد رضا في كتابه تاريخ الامام الجزء الثاني ، ص ٤٠٨ ـ ٤٦٨ ، ومحمد عمارة ، في كتابه عبده ، الجزء الثالث ، ص ٢٠١ ـ ٢٣٩ ، وقارن ص ٢٤٣ ـ ٣٥٠ .

- **الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، (القاهرة ١٣٢٠هـ - ١٣٨٠هـ/١٩٠٢ - ١٩٦٠م) وكان المرحوم محمد رشيد رضا قد نشرها على حلقات في مجلة المنار، الجزء الثاني (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) كرد على سلسلة مقالات كتبها فرح انطون (١٢٩١ - ١٣٤١هـ/١٨٧٤ - ١٩٢٢م) في مجلة الجامعة، تعكس اعجابه الشديد بالفكر الاوربي وهيامه المعروف بجديده، أعاد نشرها عمارة في كتابه عبده، ج ٣، ص ٢٤٣ - ٢٥٠، راجع ايضا، تاريخ الامام ج ١، ص ٨٠٥ - ٨١٦.

- **تفسير سورة الفاتحة**، (القاهرة ١٣١٩ - ١٣٧٩هـ/١٩٠١ - ١٩٥٩م)، اعاد نشرها طاهر طناحي في دروس من القرآن الكريم، (القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص ٤٥ - ٨١، وايضا عمارة في عبده، ج ٤، ص ٢٣ - ٥٣، وصدرت في طبعة مستقلة: محمد عبده، فاتحة الكتاب، ط ٢، ١ كتاب التحرير (القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

- **تفسير سورة العصر**، (القاهرة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م) أعاد نشرها طاهر طناحي، في دروس من القرآن الكريم، (القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، ص ٨٣ - ١١٣، وتجدها ايضا عند عمارة، عبده ج ٥، ص ٥٠١ - ٥٢١.

- **تفسير جزء عم** (القاهرة ١٣٢٢هـ - ١٣٤١هـ/١٩٠٤ - ١٩٢٢م)، اعاد طبعها محمد عمارة في عبده، ج ٥، ص ٣٠٩ - ٥٧٤.

- **الفتوى المهمة في الشريعة الاسلامية**، (القاهرة ١٣٣٣ هـ/١٩١٤م).
- **فلسفة التربية الحقة** (الاسكندرية ١٣٣١هـ/١٩١٤م).
- **مع محمد رشيد رضا**، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ١٢ مجلدا، (القاهرة ١٣٤٦ - ١٣٥٥ هـ/١٩٢٧ - ١٩٣٦م) تفسير محمد عبده تجده في محمد عمارة، عبده، الجزئين الرابع والخامس.
- **مشكلات القرآن ومشكلات الحديث**، (القاهرة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣م).
- **مذكرات الامام محمد عبده**، باشراف طاهر طناحي، (القاهرة د.ت) تجدها في محمد رضا تاريخ الامام الجزء الاول ص ٩ - ٢٧ و١٥٧ - ٢٢٤.
- **دروس من القرآن الكريم**، باشراف طاهر طناحي، (القاهرة

الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

تصدر عن

مركز الوثائق التاريخية

بمكتبة الإسكندرية

العدد الثاني والعشرون ـ السنة الحادية عشرة

رجب ١٤١٣ هـ ـ يناير ١٩٩٣م

الهوامش

(١) في اساطير السومريين وتقاليدهم ان جزيرة ديلمون تشبه «جنة الفردوس» و «عالم الخلود» ، حيث يوجد ماوى بطل السومريين شبه الخرافي جلجامش، وزيو اودرا ، وهما شخص واحد وهو احد الناجين من الطوفان العالمي .

(٢) في نقوش السومريين المنقوشة بالكتابة المسمارية يسمون البحر الأبيض بالبحر الأعلى ، اما الخليج فيسمونه البحر الأدنى .

(٣) ميناء جيرا ـ الذي لم يعد موجودا الآن ـ اقيم على الساحل العربي للخليج بالقرب من مجموعة جزر البحرين مباشرة، وهو ميناء العقير أو العجير الحالي.

(٤) من اخبار نيارك (القرن الرابع قبل الميلاد)وبليني أخيرا (٢٢ ـ ٧٩ ميلادية) ان نهري دجلة والفرات كانا حينئذ يصبان في الخليج كل على حدة وان مدينة سباسن الهاراك كانت تقع على مصب دجلة اي في مكان غير بعيد من ملتقى دجلة والفرات الحالي .

(٥) ك. ماركس ، وف. انجلز ، مجموعة الرسائل ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ص٧٤ ـ ٧٦ .

(٦) واضح من هذه الفقرة ان الكاتب لم يتعمق كثيراً في التاريخ الاسلامي ، فكل المصادر والمراجع العربية والأجنبية مجمعة على ان سكان البحرين اقبلوا جميعا على الاسلام عند عرضه عليهم . اما الموقف المعارض ضده فجاء في البحرين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي اطار حركة الردة وربما كان ذلك هو ما يعنيه الكاتب هنا .

(المحرر)

(٧) كان ضمن ذلك جزء من ارض ما بين النهرين حتى الكوفة والبصرة وشاطىء الحسا ، وشبه جزيرة قطر ، وجزء كبير من عمان .

رواد الإصلاح في العصر الحديث

٤

محمد رشيد رضا

١٢٨٧ - ١٣٥٤هـ

ولد محمد رشيد رضا ، سنة ١٢٨٧هـ = ١٨٦٥م ، في قرية صغيرة من قرى طرابلس الشام ، تسمى (القلمون) ، وترعرع في بيت اسلامي نبيل ، ارضعه منذ نعومة اظفاره الاسس والمبادىء الاسلامية الصحيحة على خطى السلف الابرار ونهجهم . لذا لا عجب ان يحتل مكانة عالية مرموقة بين اقرانه ، لتفوقه ـ وعلى امتداد مسيرته العلمية ـ بكافة مقرراته الدراسية العلمية منها والأدبية ، حيث ظهرت آيات نبوغه في العلوم الاسلامية والعربية مبكرا ، مع براعة مشهودة في علوم المنطق والرياضيات والفلسفة ، مع اجادة للغتين التركية والفرنسية .

وقد أهلته هذه المكانة العلمية والتربية الاسلامية الشريفة ، لأن يصبح من عداد علماء الدين الاسلامي المرموقين ، الذين سبقوا زمانهم ، وكان معينه الذي لا ينضب وزاده الفكرى الثر ، مستمدا ـ طوال حياته ـ من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .. وكثيرا ما ساءه ما كان الناس عليه من بدع وخرافات واضاليل ، لا يقرها الشرع ، ولا تتفق مع الاسلام في شيء .. فكان جهاده الأول تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم ، ومحاربة الافكار الجامدة ، التى تكبل حرية العقل ، وتنال من عالمية الاسلام وشموليته ، وكان يؤمن (رحمه الله) بأن الخطوة لاصلاح الوضع في العالم الاسلامى ، تتمثل في رفض المسلمين للصورة التى الفوها منذ ان وقعوا اسرى الانحطاط ، الذي عرفوه في العصور المتأخرة .. وعليه يجب أن يكون التغيير لهذا الواقع الاسلامي المريض جذريا وذلك بالقيام

رشيد رضا

١٨٦٥-١٩٣٥م

بقلم : الدكتور
فهمى توفيق مقبل

بمراجعة شاملة لفهم كنه وظيفه الدين الاسلامى ، على اساس العودة الى الاصول ، وفي ضوء قراءة جديدة للواقع .

وقد واجه رضا في طريقه نحو الاصلاح نفس العثرات والخصوم ، الذين وقفوا فى وجه الكواكبي واضطروه للسفر الى مصر ، حيث لم يجد مفرا في النهاية للتخلص من مضايقات السلطة الشديدة من الرحيل الى القاهرة سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) ليحتل مكان الصدارة بين اخوانه العلماء والحكماء من اهل مصر ، ومن لاذ بديارهم فرارا من قبضة المستبدين الطغاة ، وليقترب بالتالى اكثر من مواقع المفكرين المصلحين الاسلاميين ، الذين ارتبط بهم على نحو سابق ارتباط التلميذ باساتذته الأوفياء الامناء ، امثال جمال الدين الافغانى ، ومحمد عبده ، وقد وجد (رحمه الله) فى الشيخ محمد عبده خير عزاء ، بعد ان فقدا كلاهما استاذهما الداعية الاسلامي الكبير جمال الدين الافغانى ، وقد اتاح له هذا الالتحام ، باستاذه الجليل (وريث الافغانى) الشيخ محمد عبده ، القيام بدور محمود في ميدان الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسي .. الخ . ليتفوق احيانا على استاذيه خصوصا فى علم الحديث . وقد شرع محمد رشيد رضا منذ اللحظة الأولى التى

الافغاني

محمد عبده

وطأ فيها أرض مصر جهادا متواصلا لا يهدأ ليلا أو نهارا ، موقفا وقته كله فى خدمة دينه ووفاء لمبادئه ، التى كانت هى نفس المبادىء التى جاهد فى سبيلها استاذاه الافغانى وعبده ، والرامية للتجديد والاصلاح الاسلاميين ... ومن اجل مواصلة المسيرة بقوة واندفاع الى الامام ، انشأ مجلة المنار ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) بتوجيه من استاذه الشيخ محمد عبده صاحب التجربة الصحفية العريقة ، وقد حدد رضا اهداف مجلته بالشعار الذي صدر به الصفحة الاولى ووضعه تحت اسم المجلة مباشرة ، حيث يقول ان « المنار »: « مجلة اسلامية تبحث فى جميع شئون الاصلاح الدينى والمدنى والسياسي ، وتقوم بفريضتى الدعوة الى الاسلام ، والدفاع عنه ، وجمع كلمة المسلمين » . وبالجملة فقد اختط رضا لنفسه منهجا توفيقيا يجمع بين تجربته وتجربة استاذيه عبده والافغانى ، وبخاصة بعد ان فقد الآن كليهما وبقى في الميدان مثل السيف فردا .

وبعد وفاة الشيخ عبده استقل رضا تماما فى المنار ، وقادها على نفس الطريق الذي خطه استاذه الراحل ، فتطورت فى عهده حتى ذاع صيتها فى الخافقين ، وذاع معها صيته هو نفسه ، وصار يشار اليه بالبنان ، وتوج مفكرا دينيا ومصلحا اسلاميا موثوقا ، يحظى بمكانة عربية واسلامية عالية ، وقد عمل رضا من هذا الموقع المسئول كمفكر اسلامى سلفي حديث على صياغة نظرية اصلاحية تستند اساسا على الافكار التى استلهمها من استاذيه ، وتفضى

لايجاد حلول اصلاحية مستنبطه من العقيدة الاسلامية ، ليتمكن العالم الاسلامى من الصمود فى وجه التحديات التى تستهدف وجوده من الاساس ، خصوصا بعد انهيار صرح الدولة العثمانية ، واكتواء الامة بنار الاستعمار الغربى ومن ثم تحصينه ليقوى على احتواء اعصار الغزو الثقافي والعسكري ، عاملا فى نفس الوقت على ايجاد نظرية اسلامية اصلاحية ، قادرة على ان تفرض نفسها على اجيال الشباب الاسلامى المعاصر ، خصوصا مزدوجى الثقافة ، ومن ثم حمايتهم من النظريات والمؤثرات الاجنبية ، التى كانت تدق ابواب عالمنا العربى والاسلامى بقوه ، مثل الماركسية والرأسمالية والقومية والعلمانية .. الخ ..

لقد استطاع رضا بحق ان يفرض نفسه في اواخر سنى حياته زعيما من زعماء الاصلاح الحديث ، يلتف حوله صفوة من علماء الامة واساتذتها ومفكريها .. ومع انه استطاع ان يميز نفسه عن استاذيه الافغانى وعبده ، وتجاوزهما فى أكثر الاحيان فكرا واسلوبا وتصميما على بلوغ الاهداف ، الا أنه لم يستطع ان يفرض نفسه كصاحب مدرسة مستقلة بالفعل ، وظلت مدرسته الفكرية فى نظر اصدقائه وخصومه ، هي نفس المدرسة التى تخرج فيها الشيخ محمد عبده .

وبعد كفاح طويل ومرير انهكت فيه الروح والجسد ، اسلم الشيخ رضا روحه الى بارئها سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥) ، بعد ان اضاف صفحات باقية خالدة الى صفحات تاريخ امته الاسلامية المجيدة ، وقد اجمع اساتذته وتلامذته وعارفو فضله على سعة علمه ، وعظيم خلقه ، وكريم خلاله ، ونبيل سجاياه .. هذا وقد خلف رضا تراثا علميا قيما ، يتجلى فى اثاره الحية « مجلة المنار » « وتفسير القرآن الحكيم » الذي كان قد بدأه الشيخ محمد عبده ، واثار جليلة اخرى ، ظهر فيها بكل وضوح نفسه الاسلامى الغيور ، ودقة الباحث الأمين مع اسلوب راق متميز وجهد مخلص موقوف لنفع الناس من ابناء الامة دون تمييز ، رحم الله الشيخ محمد رشيد رضا وجزاه عن امته خير الجزاء .

اعماله

الكتب (والكراسات) :

ـ خلاصة لمسألة زيد وزينب ورد شبهه (القاهرة ١٣١٩هـ = ١٩٠١م) .

ـ شبهات النصارى وحجج الاسلام ، (القاهرة ١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م) . طبعة ثانية دار المنار (القاهرة ، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م) .

ـ محاورات المصلح من المقلد ،

(القاهرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) .
ـ المسلمون والقبط والمؤتمر المصرى ، (القاهرة ١٣٢٩هـ = ١٩١١م) .
ـ عقيدة الصلب والفداء ، (القاهرة ١٣٣١هـ = ١٩١٢م) .

ـ فتويان من فتاوى المنار الاصلاحية (القاهرة ، ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م) .
ـ الخلافة والامامه العظمى ، (القاهرة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م) نشرت اولا على حلقات فى المنار ، تجدها فى المجلدين ٢٣ ، ٢٤ .
ـ انجيل بارنابا ، (القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) .
ـ الوهابيون والحجاز ، (القاهرة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٥م) .
ـ تفسير سورة يوسف ، (القاهرة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٦م) .

ـ بالاشتراك مع محمد عبده ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) في ١٢ جزءا ، (القاهرة ١٣٤٥هـ = ١٩٢٧م) (ط ٤) عن دار المنار بمصر (القاهرة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م) .
ـ مجموعات التوحيد النجدية ، (القاهرة ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) .
ـ الوحدة السياسية والاخوة الدينية ، (القاهرة ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) (طبعة ثالثة ، دار المنار ، القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م) .
ـ ترجمة القرآن وما فيها من مفاسد ومنافاة الاسلام ، (القاهرة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م) .
ـ السنة والشيعة والرافضة ، فى مجلدين (القاهرة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م) .
ـ تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، ٣ مجلدات ، (القاهرة ١٣٥٠هـ = ١٩٣١م) .
ـ حقوق النساء فى الاسلام ، (القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) ، طبعة جديدة صادره عن دار التراث الاسلامى ، (القاهرة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م) .
ـ ايضاح مسألة معينة (القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) .
ـ نداء الى الجنس اللطيف يوم المولد النبوى الشريف ، (القاهرة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م) (طبعة ثانية ، دار المنار ، القاهرة ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م) .
ـ الوحى المحمدى ، (القاهرة ١٣٥٢هـ = ١٩٣٣م) طبعة ثالثة ، دار المنار ، (القاهرة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) .
ـ تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، (القاهرة ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤م) .
ـ ذكرى المولد النبوى ، (القاهرة ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م) .
ـ الفاروق عمر بن الخطاب ، (القاهرة ١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م) .
ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (القاهرة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م) .
ـ الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين (القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م) .

ـ خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية (القاهرة ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م) .
ـ يسر الاسلام في اصول التشريع العام ، (القاهرة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م) .
ـ الاسلام والمدنية ، (بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م) .

المقالات :

توطئه :

كل المقالات المهمة التى كتبها محمد رشيد رضا فى حياته (وبخاصة في مصر) والتى تحتل عصارة جهده واجتهاده الاسلامى كانت في الاصل اسهاماته الفكرية الرائدة التى عبر عنها من خلال مجلته (المنار) التى جمعت فى ٣٥ مجلدا فى العام (١٣١٥ ـ ١٣٥٤هـ = ١٨٩٨ ـ ١٩٣٥م) (×) .

وقد ذكرنا فيما تقدم أهم أعماله التى نشرها في كتب أو كراسات مستقلة . وللفائدة العلمية المنشودة نصطفى هنا عددا محدودا من المقالات المهمة على سبيل المثال والتعريف بالكنز الاسلامى العظيم والتراث الباقي المتجدد الذي خلفه المغفور له الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) :

ـ « القول الفصل : محاورة فى سعادة الامة » في المنار المجلد ١ ، العدد ٢ ، (القاهرة ١٢١٦هـ = ١٨٩٨م) ، قارن كذلك المنار ، المجلد ٧ (١٣٢٢هـ = ١٩٠٤م) ، ص ٥٧٤ .

ـ « مدنية العرب » ، في المنار ، المجلد ٣ ، (القاهرة ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ ، ٩٠٩ ، ٩١٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٥ .

ـ « الترك والعرب » ، في المنار ، المجلد ٣ ، (القاهرة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م) ص ١٦٩ ـ ١٧٢ ، ١٩٣ ـ ١٩٨ .

ـ « بحث فى المؤتمر الاسلامى » ، فى المنار ، المجلد ١٠ (القاهرة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) ، ص ٦٧٣ ـ ٦٨٢ .

ـ « فاتحة السنة الثانية عشرة » ، في المنار ، المجلد ١٢ ، (القاهرة

(×) بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) استانف الاستاذان محمد شفيع رضا ومحيى الدين رضا اصدار المجلة ، وترجح بعض المصادر ان جماعة الاخوان المسلمين اشتروا امتياز حق النشر بنفس الاسم ، وتؤكد فهارس دوريات دار الكتب في القاهرة ، ان « المنار » استمرت في الصدور بعد هذا التاريخ المشار اليه ، وتحتفظ الدار بمجموعة مجلدات « المنار » من سنة ١٨٩٨م وحتى سنة ١٩٤٠ . للمزيد انظر الدراسة التى اجرتها جريدة الشرق الاوسط حول الدوريات الاسلامية منذ بدء صدورها وحتى اليوم ، العدد ٣٨٦١ ، ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٨٩ = ١٤٠٩هـ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م) ، ص ١ - ١٥ .

- « الاصلاح والدعوة الى الوحدة » ، في المنار ، المجلد ١٢ ، (القاهرة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م) ص ٧٤٢ .

- « المسألة العربية » فى المنار ، المجلد ٢٠ (القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م) ص ٣٣ - ٤٧ .

- « الحالة السياسية العامة في مصر » ، في المنار ، المجلد ٣٠ (القاهرة ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .

اعماله المترجمة :

Translations

Al-Khilafa wa al-Imama al-Uzma, Fr. trans, Le Califat dans la doctrine de Rashid Rida by H. Laoust, (Beirut, 1938).

'Islam and the National Idea', in S. Haim, Arab Nationalism: An Anthology, (Los Angeles and London, 1962), pp. 75-77.

دراسات عن محمد رشيد رضا بالعربية

الكتب :

- احمد ابراهيم العدوى : رشيد رضا الامام المجتهد ، (القاهرة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م) .

- احمد الشرباصى : رشيد رضا صاحب المنار ، عصره وحياته ومصادر ثقافته ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، الكتاب ٥٨ (القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م) .

- حسيب السامرائى : رشيد رضا المفسر ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ١٣٩٧هـ = ١٩٧٦م) .

- السيد احمد رجب : مكانة المرأة في تفسير المنار ، رسالة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، (القاهرة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م) .

- شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا وإخاء اربعين سنة ، (دمشق ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م) .

- عاهدة فخر الدين : الامام محمد رشيد رضا والصهيونية ، رسالة ماجستير ، الجامعة اللبنانية ، (بيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م) .(××) .

- فهد الرومى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير ، مؤسسة

(××)انتحل انيس الابيض جزءا من هذه الرسالة ونشرها تحت نفس عنوان الرسالة «الامام محمد رشيد رضا والصهيونية » ، فى مجلة الامة القطرية ، العدد ١٩ ، ايار (مايو) (١٩٨٢م = ١٤٠٣هـ) ص ٣٢ - ٣٨ . وقد تداركت المجلة الامر ونبهت عليه في افتتاحية العدد ٢٧ ، ك ٢ (يناير) (١٩٨٣م = ١٤٠٤هـ) ص ١ .

راجع ايضا : F.T.Mukbil,op,cit.,p.220,n.4

الرسالة ، (بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م) انظر هنا ص ١٧٠ - ٢٠٨ .
- محمد الصالح المراكشي : محمد رشيد رضا - من خلال مجلة المنار (١٨٩٨ - ١٩٣٥) اطروحة دكتوراه دولة في الاداب ، مقدمة لكلية الاداب والعلوم الانسانية بجامعة تونس ، (تونس ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) .
- وجيه كوثراني (تقديم ودراسة) : مختارات سياسية من مجلة « المنار » لرشيد رضا ، دار الطليعة ، (بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨٠م) .
- يوسف ايبش (جمع وتحقيق) : رحلات رشيد رضا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م) .

المقالات :

- في الشرق الاوسط (جريدة) : « العروة الوثقى على رأس قائمة من الدوريات نصفها توقف عن الصدور - ٣٠٠ جريدة ومجلة اسلامية صدرت في العالم منذ عام ١٨٨٤م » - في العدد ٣٨٦١، ٢٤ حزيران (يونيو) (١٩٨٩م = ١٤٠٩هـ) . دراسة صحفية تتضمن قائمة بالدوريات الاسلامية منذ بدء صدورها وحتى اليوم .
- عبدالهادي بو طالب : « المغرب كان مهيئا بطبعه لتقبل فكرة السلفية وكثير من علمائه تميزوا بالجهر بالعودة إلى الاصول الاسلامية » ، من كتابه ذكريات وشهادات ووجوه ، تنشره على حلقات جريدة الشرق الاوسط ، العدد ٣٤٧٣ (١ حزيران) (يونيو) (١٩٨٨م = ١٤٠٨هـ) ص ١٦ .
- محسن عبدالحميد : « موقف صاحب المنار من المفسرين » في مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٣ (بغداد ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م) .
- ياسر فرحات : « مطلوب انقاذ التراث الاسلامي : الخطر يهدد تراث محمد عبده ورشيد رضا » ، في الشرق الاوسط العدد ٣٤٨٩ ، ١٧ حزيران (يونيو) (١٩٨٨م = ١٤٠٩هـ) .

دراسات عن محمد رشيد رضا بلغات اجنبية

رابعا :

(أ) الكتب :

a. Books

Badawi, Zaki.
The Reformers of Egypt - A Critigue Al-Afghani, ᶜAbduh and Ridha, (The Muslim Institute Papers, 2, Slough, U.K. 1976), esp. pp. 47-71.

Hourani, Albert
Arabic Thought in the Liberal Age, 1798 - 1939, (London, 1962), esp. pp. 222-244.

Kerr, N.G.
Muhammad ᶜAbduh and Rashid Rida, Ph.D. thesis, J. Hopkins University, (Washington, 1958).